﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦﴾ [الإسراء: 16]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بَـيـانُ أَسْـبـابِ حُـلـولِ الـعَـذابِ عَلى المُخالِفينَ

لَمّا أشار اللّهُ تَعالى إلى عذابِ المُخالِفينَ؛ قَرَّر أسبابَهُ، وبيَّنَ أنَّها واقعةٌ بِقَدَرِهِ، وأنَّ قَدَرَهُ سُبحانَهُ لا يَمْنَعُ استحقاقَ العَذابِ، فقالَ تَعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نُّهۡلِكَ﴾: الهاءُ واللّامُ والكافُ تدلُّ تصريفاتُها على كَسْرٍ وسقوطٍ، وَمِنْهُ الهلاكُ؛ وهوَ السُّقوطُ، ولذلكَ يُقال للمَيِّتِ: هَلَكَ[2]، ويُطلقُ الهلاكُ على بطلانِ الشَّيْءِ مِنَ العالَمِ وعَدَمِه رأسًا، ومِنْهُ قولُ اللّهِ سُبحانَهُ: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾[3] [القصص: 88]، والهلاكُ في قَوْلِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً﴾ هو الاستئصالُ بالعذابِ[4].

2) ﴿قَرۡيَةً﴾: القافُ والرّاءُ والحرفُ المعتلُّ تدورُ اشتقاقاتُها على مَعْنى الجَمْعِ والاجتماعِ[5]، ومِنْهُ: القريةُ؛ وهي اسمٌ للمَكانِ الذي يَجْتَمِعُ فيهِ النّاسُ[6]، وتُطْلَقُ القريَةُ على النّاسِ أنفسِهم، ومِنْهُ قولُ اللّهِ ﷻ: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً﴾ أي: أهلَها.

3) ﴿مُتۡرَفِيهَا﴾: التّاءُ والرّاءُ والفاءُ: كلمةٌ واحدةٌ، تدلُّ على

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 389.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هلك).
(3) الراغب، المفردات: (هلك).
(4) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 455.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قري).
(6) الراغب، المفردات: (قرى).

التَّنَعُّم[1]، ومِنْهُ التُّرْفَةُ وهو الطَّعامُ الطَّيِّبُ، والتَّرفُّهُ: الاتِّساعُ في التَّنَعُّمِ بِنِعَمِ الدُّنيا، والمُتْرَفُ: المتَنَعِّمُ المتوسِّعُ في ملاذِّ الدُّنيا وشهواتِها[2]، وهوَ المرادُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾، ولذا فسَّره بعضُ أهلِ العِلْمِ بأنَّهم الجبابِرَةُ؛ لأنَّهم مِن شأنِهم التَّوسُّعُ في ملاذِّ الدُّنيا وَشَهَواتِها[3].

4) ﴿فَدَمَّرْنَاهَا﴾: الدّالُ والميمُ والرّاءُ تَدورُ اشتقاقاتُها على مَعْنى غشيانٍ بفسادٍ محيطٍ، ومِنْهُ الدُّمورُ وهو الدُّخولُ على قومٍ بغيرِ إذْنِهم؛ لأنَّهُ باطِّلاعِهِ على حالِهم ومخالَطَتِه إيّاهُمْ يُفْسِدُ مجلسَ مَنْ دَخَلَ عليهِمْ، والدَّمارُ: هوَ الهلاكُ المسْتَأصِلُ[4]، ومِنْهُ قولُ اللهِ ﷻ: ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الإغْـــراقُ في الباطِلِ سَبَبٌ في الإهْلاكِ التّامِّ

أكّد البيانُ الإلهي سُنّةً من سُنن اللّه في العبادِ، وهي أنّ الإيغالَ في الانحرافِ والكفرِ سببٌ للاستئصالِ والهلاكِ، فقال: وإذا أَرَدْنا إهْلاكَ أَهْلِ قَرْيَةٍ بسَبَبِ ظُلْمِهم؛ أَمَرْنا مُتْرَفيهم بِطاعَةِ اللّهِ تَعالى وتَوْحيدِهِ وتَصْديقِ رُسُلِهِ، وغيرُهُم تَبَعٌ لَهُم، فعصَوا أَمْرَ رَبِّهم، وكذَّبوا رسلَهُ، فَحقَّ عليهِم القولُ بالعَذابِ الذي لا يُرَدُّ، فاسْتَأْصَلْناهُم بالهَلاكِ التّامِّ[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دِلالَةُ العَطْفِ بِالواوِ في ﴿وَإِذَآ﴾:

تَـهْـديـدُ قـادَةِ المُـشْـرِكـيـنَ وَتَـخْـمـيـلُـهُـمْ تَبِعَةَ ضَلالِ مَنْ أَضَلّوهُمْ

وردَتْ هذه الآيةُ تفصيلًا للحُكْمِ السّابِقِ، والمرادُ تهديدُ قادَةِ المشركينَ وتحميلُهم تَبِعَةَ ضلالِ مَن أَضَلّوهُم، فقولُهُ تَعالى: ﴿وَإِذَآ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ترف).
(2) الراغب، المفردات: (ترف)، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (ترف).
(3) ابن أبي زمَنِين، تفسير القرآن العزيز: 3/ 15.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دمر)، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (دمر).
(5) نخبة من أساتذة التفسير، التَّفسير الميسّر، ص: 283.

﴿أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ تفريعٌ لبيانِ أسبابِ حلولِ العذابِ بَعْدَ بِعْثَةِ الرُّسُلِ وأُدْمِجَ فيه وعيدٌ للمُضِلّينَ، وكان مقتضى الظّاهِرِ أن تُعْطَفَ الجملَةُ على قولِهِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ بالفاءِ دونَ الواوِ، إلّا أنَّ النَّظْمَ القرآنيَّ آثَرَ العَطْفَ بالواوِ تنبيهًا على أنَّه خبرٌ مقصودٌ لذاتِهِ، باعتبارِ ما تضمَّنَهُ مِنَ التَّهديدِ والتَّحذيرِ مِنَ الوقوعِ في مِثْلِ الحالِ الموصوفةِ، وأمّا مَعْنى التَّفريعِ؛ فيُستفادُ مِنْ طبيعَةِ الكلامِ، وعلى هذا يكونُ العَطْفُ بالواوِ في الآيةِ تخريجًا على خلافِ مقتضى الظّاهِرِ في الفصلِ والوصلِ[1].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِـ﴿وَإِذَآ﴾:

تَأْكيدُ التَّهْديدِ وَتَحْقيقُهُ

عُلِّقَ الشَّرْطُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ بـ: (إذا) دون (إنْ)؛ لأنَّ الأصلَ في (إذا) الدّلالَةُ على تحقُّقِ مدخولِها على جِهَةِ القَطْعِ والجَزْمِ، وذلك أَدْخَلُ وأبلَغُ في التَّهديدِ الذي جاءَ سياقُ الآيَةِ لَهُ، بخلافِ تعليقِ الشَّرْطِ بـ (إن) الدّالَّةِ في أَصْلِ وضْعِها على الشَّكِّ في حصولِ مدخولِها؛ فإنَّ استعمالَهُ هَهُنا في مقامِ التَّهديدِ يُضْعِفُ هذا التَّهديدَ.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِـ(نا) الدّالَّةِ عَلى العَظَمَةِ:

عَظَمَةُ الإرادَةِ الإلَهِيَّةِ الكَوْنِيَّةِ، بِحَيْثُ لا يَتَخَلَّفُ عَنْها شَيْءٌ

أُسْنِدَتْ جملةٌ مِنَ الأفعالِ في الآيةِ إلى الضَّميرِ (نا) الدّالِّ على العَظَمَةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا﴾، وهي: ﴿أَرَدْنَآ﴾ و﴿أَمَرْنَا﴾ و﴿فَدَمَّرْنَٰهَا﴾؛ للإيماءِ إلى عَظَمَةِ هذه الأفعالِ؛ وهي الإرادَةُ والأمرُ والتَّدميرُ، فإرادَةُ اللهِ سُبحانَهُ إرادَةٌ عظيمَةٌ؛ إذْ بها يَنْفُذُ كلُّ ما أرادَهُ اللهُ تَعالى إرادَةً كونيَّةً، ولا يُمْكِنُ أَن يتخلَّفَ عن هذه الإرادَةِ شيءٌ، وأمّا أمرُهُ تَعالى؛ فهو عظيمُ القَدْرِ؛

(1) ابن عاشور، التحرير والتّنوير: 15/ 53.

لِصُدورِهِ مِنَ العظيم ﷻ، وأمّا التَّدميرُ؛ فهو إهلاكٌ عظيمٌ شديدٌ؛ لأنَّ عذابَ العظيم عظيمٌ[1].

سِرُّ التَّعْبيرِ بالهَلاكِ دونَ العَذابِ:

الإهْلاكُ أَبْلَغُ مِنَ التَّعْذيبِ وَأَقْوى

عُبِّر بالهلاكِ دون العذاب في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾؛ لكَوْنِ الهلاكِ أَبْلَغَ وأقوى في التَّهديد؛ إذْ حقيقتُه: هو الاسْتِئْصالُ بالعذابِ[2]، فكانَ التَّعبيرُ به أنسَبَ لِسياقِ التَّهديدِ والوعيدِ.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿نُّهْلِكَ﴾:

تَعَلُّقُ الوَعيدِ بِكُلِّ مَنْ تَحَقَّقَ فيهِ وَصْفُ الفِسْقِ

عُبِّرَ بالفعلِ المضارعِ ﴿نُّهْلِكَ﴾ مِنْ قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾، للدِّلالَةِ عَلى التَّجدُّد والاسْتِمْرار؛ لِئَلّا يتعَلَّقَ التَّهديدُ بحالٍ خاصَّةٍ، بَلْ هَذا الوعيدُ متعلِّقٌ بكلِّ مَن تحقَّقَ فيهِ وصْفُ الفِسْقِ في أيِّ زمانٍ كانَ، وهذا أَقْوى في التَّهديدِ.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِلَفْظِ ﴿قَرْيَةً﴾ مُنَكَّرَةً:

شِـدَّةُ التَّنْكيلِ بِإِهْلاكِ الفَسَقَةِ وَهَدْمِ صُروحِهِمْ وَطَمْسِ آثارِهِمْ

عُبِّر بلَفظ القريةِ في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ لأنَّ القريةَ تدلُّ في أصلِ العربيَّةِ على المدينَةِ العظيمَةِ، ويجوزُ أن يُرادَ بها الدَّولةُ أو الأُمَّةُ أو الجماعَةُ أيًّا كان عددُها، فدلالاتُها أوسَعُ مِنْ دلالَةِ البلدِ مثَلًا، وفي هذا زيادةُ تهويلٍ وتفظيعٍ؛ إذْ كُلُّ المَعاني المُحْتَمَلَةِ في لفظِ القريَةِ تجوزُ إرادَتُهُ في الآيَةِ، ويكونُ هذا إيماءً إلى شدَّةِ التَّنكيلِ بهم؛ بإهلاكِ الفسَقَةِ، وهَدْمِ صروحِهم ودورهم، وطمسِ آثارِهم، وأنَّ الهلاكَ لا يصيبُ الأهْلَ فَحَسْب، بل يصيبُهم، ويصيبُ مَعَهُم مساكِنَهُمْ وأموالَهُمْ، وكلُّ ما احتوَتْهُ تلك القريَةُ؛ وهذا أَوْجَعُ للقَلْبِ وأَنْكى للعَدوِّ[3].

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 391.

(2) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 455.

(3) جمال الدّين القاسمي، محاسن التأويل: 6/ 451، ومحمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4352، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 315.

التَّكامُلُ الدِّلاليُّ لِلقِراءاتِ القُرْآنِيَّةِ

أَثَرُ تَعَدُّدِ القِراءاتِ في: ﴿أَمَرْنَا﴾:

قرأَ جمهورُ العشرَةِ ﴿أَمَرْنَا﴾ من قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ بهمزةٍ مقصورةٍ، وقرأَ يعقوبُ بهمزةٍ ممدودَةٍ ﴿آمَرْنَا﴾[1]، وقُرِئَ شاذًّا بقصر الهمزة وتشديد الميم (أَمَّرْنا)[2].

فقراءةُ الجمهورِ ظاهِرَةٌ؛ فهيَ مِنَ الأَمْرِ بمَعْنى الطَّلَبِ، وقراءةُ يعقوبَ بالمدِّ ﴿آمَرْنَا﴾، فهو بِمَعْنى التَّكثيرِ، مِنْ قولِهم: أَمِرَ القومُ، أي: كَثُروا، وآمَرَهُمُ اللهُ تَعالى، أي: كَثَّرهم، وقراءةُ التَّشديد (أَمَّرنا) فهو بمعنى التَّسليطِ، أي: (سلَّطنا شِرارَها، فَعَصَوا فيها)، أو بمعنى: (جعلناهُم أُمَراءَ)[3]، وهي معانٍ لا تنافيَ بينَها، بل يُكمِّلُ بعضُها بعضًا ويَعْضُدُهُ.

الاسْتِرْسالُ في التَّرَفِ وَالاسْتِرْخاءِ بَريدٌ لِلفِسْقِ وَالفُجورِ

بَلاغَةُ المَجازِ في: ﴿أَمَرْنَا﴾:

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ مجازٌ، إذا حَمَلْنا قولَهُ سُبحانَهُ: ﴿أَمَرْنَا﴾ على مَعْنى: أمرناهم بالفسقِ، فإنَّ مثلَ هذا لا يجوزُ أن يكونَ حقيقةً؛ فإنَّ اللهَ سُبحانَهُ قال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف: 28]، وإنَّما قوله: ﴿أَمَرْنَا﴾، مجازٌ، ومعناهُ: أنَّ اللهَ تَعالى فتحَ عليهِم أبوابَ الخَيْرِ والرّاحَةِ، فعِنْدَ ذلك تمرَّدوا، وطغَوا، وبغَوا، وتجبَّروا، فالأمر لا يُرادُ به الطَّلبُ، وإنَّما المرادُ تسهيلُ أسبابِ التَّرفِ وأسبابِ الاسترخاءِ الذي يُلازِمُهُ، ويَتْبَعُ ذلكَ غلبَةُ الأهواءِ والشَّهواتِ[4].

مِنْ بَراعَةِ النَّظْمِ القُرْآنِيِّ انْتِقاءُ الأَلْفاظِ الجامِعَةِ لِلدِّلالاتِ المُتَنَوِّعَةِ

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالأَمْرِ في: ﴿أَمَرْنَا﴾:

آثَرَ النَّظْمُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بلفظِ ﴿أَمَرْنَا﴾ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾؛ لأنَّ المعانيَ الثَّلاثةَ –

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 306.
(2) الأزهري، معاني القراءات: 2/ 89.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 20/ 315 - 316، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 233.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 20/ 313، ومحمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4352 - 4353.

وَهيَ: الأَمْرُ والإمارَةُ والكَثْرَةُ - تَجْتَمِعُ فيها، ورَسْمُ (أَمَرْنا) يَحْتَمِلُ القراءاتِ الواردَةَ فيها كذلك: ﴿أَمَرْنَا﴾ و﴿آمَرْنَا﴾، فكان ذلكَ ضربًا مِنْ ضروبِ الإيجاز[1].

دِلالَةُ حَذْفِ مُتَعَلَّقِ الفِعْلِ ﴿أَمَرْنَا﴾:

حَـذْفُ ما دَلَّـتْ الـقَـرائِـنُ عَـلى تَعْيينِهِ اقْتِصادًا في اللَّفْظِ

حُذِفَ متعلِّقُ الفِعْلِ ﴿أَمَرْنَا﴾ مِنْ قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾، وقدَّره الزَّمخشريُّ بـ: (أمرناهم بالفِسْقِ)، بقرينَةِ قولِهِ بَعْدُ: ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾، ويكون الأمرُ مجازًا لا حقيقةً - كما تقدَّمَ - تنزيلًا لإسباغِ النِّعَمِ عليهم المُقْتَضي بطَرَهُم وكُفْرَهم؛ منزلةَ الأمر بذلكَ.

والتَّحقيقُ أنَّ تقديرَ المتعلِّق: أمرناهم بالطّاعَةِ، ففسَقوا، وهذا جارٍ على الأسلوبِ العربيِّ المعهودِ مِنْ قولهم: أمرتُهُ، فعصاني، أي: أمرتُهُ بطاعَةٍ، فعصى، وليس المَعْنى: أمرتُهُ بالمعصيَةِ، كما هوَ ظاهِرٌ، وحُذِفَ المتعلِّق مِنَ الآيةِ لظهورِهِ، أي: أَمَرْناهُم بما نأمُرُهم بهِ عادَةً، مِنْ بعْثِ الرُّسُلِ إليهم، وأَمْرِهِم على ألسنَةِ هؤلاءِ الرُّسُلِ، فَعَصَوا، وفسقوا في قريتِهِم[2].

سِرُّ تَخْصيصِ المُتْرَفينَ دونَ غَيْرِهِمْ:

المُتْرَفـونَ أَسْـرَعُ إِلـى الـفُـجـورِ وَأَقْـدَرُ عَـلى الـوُصـولِ إِلـى طُرُقِهِ وَأَسْبابِهِ

المُتْرَفون هُم المُنَعَّمون، وخُصّوا بالذِّكْر في قول اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾؛ لأنَّه قد جَرَتِ العادَةُ أنَّ مَنْ سواهُم يكونُ تبَعًا لهم؛ إذِ العامَّةُ والدَّهماءُ يُقلِّدونَهم في أفعالِهم، ولكونِ المُتْرَفينَ أسرَعَ إلى الفجورِ وأقدرَ على الوُصولِ إلى طُرُقِهِ وأسبابِهِ[3].

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 234.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 24، والزمخشري، الكشاف: 2/ 654، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 42، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 53، والشنقيطي، أضواء البيان: 3/ 76.
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 234، وأحمد المراغي، تفسير المراغي: 15/ 26.

بَلاغَةُ التَّعْبيرِ بِالمُتْرَفينَ دونَ النّاسِ:

المُبالَغَةُ في التَّرَفِ إلى حَدِّ الفِسْقِ مِـن مـوجـبـات الإهْلاك

عُلِّقَ الأمرُ بالمترفينَ دونَ النّاسِ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ مع أنَّ الرّسلَ يُخاطبونَ النّاسَ جميعًا، وذلك لأنَّ عصيانَهُم الأمرَ الموجَّهَ إليهم هو سببُ فِسْقِهم وفسْقِ بقيَّةِ قومِهم؛ إذ هُم قادةُ العوامِّ ورؤساءُ الكُفْرِ، فالخطابُ في الأكثَرِ متوجِّهٌ إليهم، فإذا صدرَ مِنْهُم الفِسْقُ؛ اتَّبعهم العوامُّ، فانتشَرَ الفسقُ في القريَةِ، فاسْتحقَّتِ الهلاكَ[1].

وفي التَّنصيصِ على المُتْرفينَ دون النّاسِ إيماءٌ إلى العِلَّةِ الموجبةِ إهلاكَهُمْ؛ وهو التَّرفُ والاسترخاءُ[2].

دِلالَةُ الإضافَةِ في: ﴿مُتْرَفِيهَا﴾:

مُـتْرفـو الـقـرْيَـةِ سَبَبٌ في هَلاكِ أَهْلِها

أُضيفَ المُتْرَفونَ إلى الضَّمير الرّاجعِ إلى القريَةِ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾؛ لإظْهارِ عَدْلِ اللّهِ سُبْحانَه، وأنَّ مُتْرَفي القَرْيَةِ هُم سببٌ في هَلاكِ أَهْلِها، لا أنّ كُلَّ مُتْرَفٍ في الأَرْضِ سَبَبٌ في هلاكِ قريةٍ مِن القُرى.

دِلالَةُ الفاءِ في: ﴿فَفَسَقُواْ﴾:

تَـمْـكـينُ المُتْرَفينَ آيِلٌ إلى الفِسْقِ قَطْعًا

الفاءُ في ﴿فَفَسَقُواْ﴾ مِنْ قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ تَفْريعيَّةٌ؛ جيءَ بها لبيانِ أنَّ ما قَبْلَها سببٌ لِما بعدها، والمَعْنى: أنَّ تَمكينَ المُتْرَفينَ يؤولُ إلى الفِسْقِ قَطْعًا[3].

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالظَّرْفِيَّةِ في: ﴿فِيهَا﴾:

تَغَلْغُلُ الفَسادِ وَانْتِشارُهُ سَبَبٌ في عَظَمَةِ الهَلاكِ

عُبِّرَ بالحَرْفِ الدّالِّ عَلى الظَّرفيَّةِ المجازيّةِ (في) مِنْ قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ دونَ (عَلى)؛ للدّلالَةِ على تَغَلْغُلِ فسادِهم وانْتِشارِهِ وتجذُّرِهِ في القريَةِ، فالفسقُ كان بينهم وبين النّاس، ولكنَّه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 55، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 315.
(2) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4354.
(3) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4354.

جعله لشدَّة انتشاره مُتغلغلًا في القرية كلِّها، وَهو الذي تَسَبَّب في عَظَمَةِ الهَلاكِ الواقِع عَلَيْهِم.

بَراعَةُ التَّعْبيرِ في الآيَةِ:

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ بُنِيت الجملَةُ بناءً بديعًا؛ وذلك أنَّه لمّا كان ظاهِرُ موقع (إذا) يَقْتَضي أنَّ قولَهُ: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ هو جوابُ (إذا)، فيلزَمُ مِنْهُ أنَّ إرادةَ اللهِ سُبحانَهُ إهلاكَها متقدِّمَةٌ على حصولِ أمْرِ المُتْرفينَ؛ لأنَّ الشَّأْنَ أن يسبقَ الشَّرْطُ جوابَهُ في الواقِع، فتكون إرادَةُ اللهِ تَعالى قَدْ تعلَّقَتْ بإهلاكِ القريةِ ابتداءً، ثُمَّ يأمُرُ اللهُ سُبحانَهُ المُتْرَفينَ مِنْ أهلِ القريَةِ، فَيَفْسُقون فيها، فيحقُّ عليها العذابُ الذي هو مظهَرٌ لإرادَةِ اللهِ إهلاكَهُمْ، مع أنَّ إرادَةَ اللهِ سُبحانَهُ إنَّما تتعلَّقُ بإهلاكِ قوم تكونُ بَعْدَ صدورِ الفِسْقِ مِنْهُم، لا العكسُ، إلّا أنَّ قرينَةَ السّياقِ ظاهِرَةٌ، وتكونُ الواوُ عاطفةً الفعْلَ ﴿أَمَرْنَا﴾ عَلى ﴿نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، ويكونُ أصلُ نَظْمِ الكَلامِ: وما كُنّا معذِّبينَ حتّى نَبْعَثَ رَسولًا، ونأمرَ مُتْرَفي قريةٍ بما نأمرُهم بِهِ عَلى لِسانِ الرُّسُلِ، فَيَفْسُقوا عَنْ أَمْرِنا، فيحقُّ عَلَيْهِم الوعيدُ، فنُهْلِكُهُم إهلاكًا مُسْتَأْصِلًا، فأفادَ هذا أنَّ قولَهُ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ شَرْطٌ لِحُصولِ الإهْلاكِ، والمَعْنى: أنَّ ذلك بِمَشيئَةِ اللهِ تَعالى، ولا مُكْرِهَ لَهُ[1].

إخْلالُ العَذابِ حاصِلٌ بِمَشيئَةِ اللهِ تَعالى التّامَّةِ

دِلالَةُ الفاءِ في: ﴿فَحَقَّ﴾:

الفاءُ في ﴿فَحَقَّ﴾ مِنْ قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ عاطِفَةٌ الفعلَ ﴿فَحَقَّ﴾ عَلى الفِعْلِ ﴿فَفَسَقُواْ﴾، وفي إيثارِ حرفِ العَطْفِ (الفاءِ) - وهي دالَّةٌ على التَّعقيبِ - إيماءٌ إلى أنَّ فِسْقَهُم ترتَّبَ عليهِ اسْتِحْقاقُهُم حُلولَ إهلاكِ اللهِ تعالى إيّاهُمْ مِنْ غيرِ مُهْلَةٍ.

تَرَتُّبُ اسْتِحْقاقِ حُلولِ الإهْلاكِ عَلى الفِسْقِ مِنْ غَيْرِ مُهْلَةٍ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 54.

دِلالَةُ تَقْديمِ الجارِّ وَالمَجْرورِ ﴿عَلَيْهَا﴾:

حُلولُ العَذابِ عَلى مُسْتَحِقِّهِ دونَ غَيْرِهِ

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿عَلَيْهَا﴾ على ﴿ٱلْقَوْلُ﴾ مِنْ قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ لإرادَةِ القصْرِ، أي: إنَّ العذابَ حلَّ على القريَةِ الفاسِقِ مُتْرَفوها لا على غَيْرِهِم مِمَّن لم يَفْسُقوا.

بَلاغَةُ التَّعْبيرِ عَنِ الوَعيدِ بِالقَوْلِ:

إخْلالُ اللهِ تَعالى العَذابَ العَظيمَ بِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ

عُبِّرَ عَنِ الوعيدِ بالقَوْلِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ إيماءً إلى أنَّ إحلالَ هَذا العَذابِ العَظيمِ والهلاكِ الكبيرِ المُسْتَأْصِلِ هيِّنٌ عليهِ سُبحانَهُ؛ إذْ يحُلُّ عليهم الدَّمارُ الكبيرُ بمجرَّدِ قولٍ مِنْهُ تَعالى.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفاءِ في: ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا﴾:

سُرْعَةُ حُلولِ الدَّمارِ وَالهَلاكِ المُسْتَأْصِلِ

جاءَ التَّعبيرُ بحرفِ العَطْفِ الفاءِ في ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا﴾ مِنْ قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾؛ لِلإشْعارِ بِسُرْعَةِ حُلولِ الدَّمارِ والهَلاكِ المُسْتَأْصِلِ الواقِعِ عَلَيْهِم، لأنَّ الفاءَ تدلُّ في أصلِ وضْعِها على التَّعقيبِ.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالتَّدْميرِ دونَ الإهْلاكِ:

لَفْظُ (التَّدْميرِ) أَبْلَغُ في بَيانِ العَذابِ النّازِلِ وَأَقْوى

عُبِّرَ بالتَّدميرِ دونَ الإهْلاكِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾؛ لأنَّ التَّدمير أقوى وأبلَغُ في بيانِ العذابِ النّازلِ عليهم؛ إذ هوَ إهلاكٌ مُسْتَأْصِلٌ، يَكونُ معهُ طَمْسُ الأثرِ وهدمُ البناءِ[1]، وهذا أنسَبُ لمقامِ الوعيدِ والتَّهديدِ.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالمَصْدَرِ ﴿تَدْمِيرًا﴾:

المُبالَغَةُ في بَيانِ العَذابِ الواقِعِ بِهِم

في ذِكْرِ المَصْدَرِ ﴿تَدْمِيرًا﴾ بعد الفعل (دَمَّرْنا) من قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ مبالغَةٌ في بيانِ العذابِ الواقعِ بِهِم، وعِظَمِ التَّدميرِ، وأنَّه تدميرٌ عظيمٌ لا يُدْرَكُ كُنْهُهُ؛ لشدَّتِهِ وعظيمِ موقِعِه[2].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 27.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 234، والبقاعي، نظم الدرر: 11/ 392، والقِنَّوجِيُّ، فتح البيان: 7/ 369، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 55.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الهَلاكُ والعَذابُ:

الـهَـلاكُ أَخَـصُّ مِنَ العَذابِ

بينَ الهلاكِ والعذابِ عمومٌ وخصوصٌ مُطْلَقٌ؛ إذِ الهلاكُ أخصُّ مِنَ العذابِ، وذلك لأنَّ الهلاكَ هو الاستئصالُ بالعَذابِ[1]، بخلافِ العذابِ فقَدْ يكونُ مستأصِلًا وقد لا يكونُ، ولذا سُمّي جَلْدُ الزّاني عذابًا، كَما قال اللّهُ سُبحانَهُ: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [النور: 2]، بَلْ يُطْلَقُ العذابُ على مُجَرَّدِ الألَمِ النَّفْسيِّ أو البدنيِّ اللّاحِقِ العَبْدَ، ولَو لَمْ يكُنْ عظيمًا، كما قال النَّبيُّ ﷺ: "السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذابِ"[2].

القَرْيَةُ والمَدينَةُ والبَلَدُ:

دلالـةُ الـقَـرْيَـةِ أَوْسَعُ مِنْ دِلالَةِ البَلَدِ

ذُكرتِ القريةُ في القرآن الكريم في بضعةٍ وثلاثينَ مَوْضِعًا، وتُسمّى القريةُ قريةً إذا قُصِدَ مِنْها: الأبنيةُ الجامِعَةُ للنّاسِ، وهوَ مأخوذٌ مِنْ قولِهم: قَرَيْتُ الماءَ في الحوضِ؛ إذا جَمَعْتَهُ، وسُمّيت القَرْيَةُ قريةً لاجتماعِ النّاسِ فيها، ولذا يُقالُ لبيتِ النَّمْلِ قريةٌ؛ لجَمْعِهِ النَّمْلَ داخلَهُ، ولفظُ القريَةِ يَدلُّ في أصلِ العربيَّةِ على المدينَةِ العظيمَةِ، ويجوزُ أن يُرادَ بها الدَّولةُ أوِ الأُمَّةُ أوِ الجماعَةُ أيًّا كان عَدَدُها، فدلالتُها أوسَعُ مِنْ دلالَةِ البلدِ[3].

وأمّا المدينَةُ؛ فَمَأْخوذَةٌ مِنْ قولِهم: مَدَنَ بالمكانِ؛ إذا أقامَ بِهِ، وحقيقتُها: البَلْدَةُ التي كَثُرَ سُكّانُها، وقد تُسمّى القريةُ مدينَةً؛ إذا اتُّخِذَت للإقامَةِ والاسْتِقْرارِ فيها؛ لأنَّ المكانَ الصّالحَ لِلاستقرارِ يكثُرُ سُكّانُهُ.

وأمّا البَلَدُ؛ فهو المكانُ المُخْتَطُّ المحدودُ، فحقيقَتُهُ: كُلُّ موضِعٍ مِنَ الأرضِ غامِرٌ أَو عامِرٌ، مسكونٌ أو خالٍ، والقِطْعَةُ مِنْهُ بَلْدَةٌ[4].

---

(1) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 455.

(2) رواه البخاري في صحيحه، برقم: (1804)، ومسلم في صحيحه، برقم: (1927).

(3) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4352، وعبد الجبار فتحي زيدان، الفروق اللغوية في القرآن الكريم، ص: 312.

(4) الكفوي، الكليات، ص: 226.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»